REVISION 2

181st Annual General Conference
Saturday Afternoon Session, April 2, 2011

البهجة في الخدمة

الشيخ م. راسل بالارد

من رابطة الرسل الإثني عشر

إخوتي وأخواتي، آمل أنّ الذين بينكم هم في زيارة إلى مدينة سولت لايك سيغتنمون الفرصة للاستمتاع بألوان زهور الربيع الجميلة المحيطة بهيكل سولت لايك وبروائحها الزكيّة.

إنّ فصل الربيع يؤتي بتجديدٍ للنور والحياة ويذكّرنا عبر دورة الفصول بحياة فادينا يسوع المسيح وتضحيته وقيامته؛ لأنّ "جميع الأشياء قد خُلقت وصُنعت لتشهد [به]" (موسى ٦: ٦٣).

ومقابل هذا الإطار الربيعي الجميل ورمزية الأمل التي يحملها، يختبئ عالمٌ من الارتياب والتعقيدات والضياع. فمتطلّبات الحياة اليومية مثل الدراسة والعمل وتربية الأولاد وإدارة الكنيسة والدعوات والنشاطات الدنيوية، وحتّى الألم والأسى جرّاء أمراض ومآسٍ غير متوقّعة، كلّها قد تتعبنا وترهقنا. كيف يمكننا إذاً تحرير أنفسنا من هذه الشبكة المعقّدة من التحدّيات والارتياب لنجد راحة البال والسعادة؟

كثيراً ما نتصرّف مثل ذلك التاجر الشاب من بوسطن الذي يُروى عنه أنّ فورة الذهب في كاليفورنيا أغرته في العام ١٨٤٩. فباع كلّ ممتلكاته وراح يبحث عن الثروة في أنهُر كاليفورنيا إذ قيل له أنّها تزخر بكتل ذهب كبيرة لدرجة أنّ المرء يكاد يعجز عن حملها.

مرّت الأيّام الطويلة، وكان الشاب كلّما يُنزل وعاءه تحت مياه النهر يُخرجه فارغاً. كانت مكافأته الوحيدة كومة متزايدة من الحجارة. أصيب بالإحباط ولم يعد لديه مال، فراح يفكّر في التوقّف عن البحث والمغادرة إلاّ أنّ منقّباً مسنّاً وصاحب خبرة جاء إليه يوماً وقال له: "يا لها من كومة حجارة كبيرة حصلتَ عليها، يا بنيّ."

فأجابه الشاب: "ما من ذهبٍ هنا. سوف أعود إلى دياري."

مشى المنقّب المسنّ نحو كومة الحجارة وقال: "بل هناك ذهبٌ بالفعل. عليك فقط أن تعرف أين تجده." وأخذ حجرَين بيديه وضرب الواحد بالآخر فانشطر أحدهما وأظهر عدّة رقائق من الذهب تلمع تحت نور الشمس.

لاحظ الشاب كيساً كبيراً من الجلد على خاصرة المنقّب فقال له: "أنا أبحث عن كتل ذهبية كبيرة مثل تلك الموجودة في الكيس على خاصرتك، لا أريد مجرّد رقائق صغيرة."

عندئذٍ، مدّ المنقّب كيسه نحو الشاب الذي نظر في داخله متوقعاً أن يجد عدّة كتل كبيرة من الذهب. ولكنّه فوجئ باكتشاف أنّ الكيس كان مليئاً بآلاف رقائق الذهب الصغيرة.

قال له المنقّب عندئذٍ: "يبدو لي يا بنيّ أنّك منشغلٌ في البحث عن كتل ذهبية كبيرة لدرجة أنّك تفوّت فرصة ملء كيسك بهذه الرقائق الذهبية الثمينة. إنّ تجميعي لهذه الرقائق الصغيرة بصبر قد أمّن لي ثروةً طائلة."

تجسّد هذه القصّة الحقيقة الروحية التي علّمها ألما لابنه حيلامان: "إنّ الصغائر تستجلب العظائم [...] وبوسائل حقيرة [...] يجلب [الربّ] الخلاص على نفوس كثيرة." (ألما ٣٧: ٦--٧)

إخوتي وأخواتي، إنّ إنجيل يسوع المسيح بسيط مهما حاولنا تعقيده. كذلك، علينا السعي لتكون حياتنا بسيطة حرّة من التأثيرات الخارجية، ومركّزة على الأمور الأهمّ.

ما هي العناصر الثمينة والبسيطة في الإنجيل التي تؤمّن الوضوح والهدف لحياتنا؟ ما هي رقائق ذهب الإنجيل التي سيؤدّي تجميعها بصبر خلال حياتنا إلى مكافأتنا بالكنز الأعظم، أي هبة الحياة الأبدية الغالية؟

أنا أعتقد أنّ هناك مبدأ واحد يشمل كامل إنجيل يسوع المسيح وهو مبدأ بسيط ولكن عميق وحتّى سامٍ. وإذا ما تقبّلنا هذا المبدأ من كلّ قلبنا وجعلناه محور حياتنا، سيؤدّي إلى تطهيرنا وتقديسنا كي نتمكّن من أن نحيا في حضرة الله من جديد.

لقد ذكر المخلّص هذا المبدأ عندما أجاب الفرّيسي الذي سأله: "يا معلّم، أيّة وصيّة هي العظمى في الناموس؟"

"فقال له يسوع، تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك.

"هذه هي الوصيّة الأولى والعظمى.

"والثّانية مثلها: تحبّ قريبك كنفسك" (متّى ٢٢: ٣٦--٤٠).

فقط عندما نحبّ الله والمسيح من كلّ قلبنا ونفسنا وفكرنا نتمكّن من مشاركة هذا الحبّ مع أقربائنا عبر الأعمال الطيّبة والخدمة أيّ الطريقة التي كان المخلّص ليحبّنا ويخدمنا جميعاً بها لو كان بيننا اليوم.

وعندما يغمرنا حبّ المسيح النقي هذا، أي المحبة، نفكّر ونشعر ونتصرّف بشكل يشبه أكثر تفكير وشعور وأعمال الآب السماوي ويسوع. وتصبح رغبتنا العميقة وحوافزنا شبيهة برغبة المخلّص وحوافزه. وقد شارك هذه الرغبة مع رسله عشيّة صلبه

قائلاً: "وصيّة جديدة أنا أعطيكم: أن تحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم... .

"بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إن كان لكم حبّ بعضاً لبعض" (يوحنّا ١٣: ٣٤--٣٥).

إنّ الحبّ الذي وصفه المخلّص هو حبٌّ ناشط. لا يظهر من خلال الأعمال الكبيرة والبطولية بل من خلال أعمال طيّبة صغيرة وخدمة بسيطة.

تكثر الطرق والظروف التي يمكننا من خلالها أن نخدم الآخرين ونحبّهم. اسمحوا لي أن أقترح البعض منها.

أوّلاً، إنّ المحبّة تبدأ في البيت. فالمبدأ الوحيد والأهمّ الذي يجب أن يسود في كلّ بيت هو ممارسة القاعدة الذهبية: اتّباع نصيحة الربّ القائلة "فكلّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم" (متّى ٧: ١٢). فكّروا قليلاً وتخيّلوا ما قد تكون مشاعركم إن كنتم تتلقّون كلماتٍ أو أعمالاً متهوّرة. دعونا نعلّم بالقدوة أفراد عائلاتنا أن يحبّوا بعضهم بعضاً.

من الأمكنة الأخرى التي نحظى فيها بفرص كبيرة للخدمة: الكنيسة. فأجنحتنا وفروعنا يجب أن تشكّل أماكن ترشد فيها القاعدة الذهبية كلماتنا وأعمالنا تجاه بعضنا البعض بشكلٍ مستمرّ. عندما نعامل بعضنا بعضاً بطيبة ونتفوّه بكلمات الدعم والتشجيع ونشعر بحاجات بعضنا البعض، يمكننا المساعدة على خلق وحدةٍ مُحِبّة بين أعضاء الجناح. فحيث تسود المحبّة، لا مكان للنميمة أو الكلمات القاسية.

يمكن لأعضاء الجناح، الراشدين منهم والشباب، أن يتوحّدوا في الخدمة المفيدة لمباركة حياة الآخرين. منذ أسبوعين فقط أعلن الشيخ ناش، رئيس المنطقة الشمالية الغربية في أميركا الجنوبية، أنّ الدمج بين "الأقوياء في نفوسهم والضعفاء" ينقذ مئات الراشدين والشباب الأقلّ نشاطاً. وهم يعودون "الواحد تلو الآخر" عبر الحبّ والخدمة. تولّد أعمال الطيبة هذه رابطاً قوياً ومستداماً بين جميع المشاركين فيها أكانوا الطرف المساعِد أو المتلقّي للمساعدة. كما أنّ العديد من الذكريات الثمينة متمحورٌ حول خدمات كهذه.

عندما أتذكّر سنواتي العديدة في إدارة الكنيسة، أذكر بشكلٍ خاص الأوقات التي انضممتُ فيها إلى أعضاء آخرين في الجناح من أجل مساعدة أحد الأشخاص.

مثلاً، أذكر عندما كنت أسقفاً وعملت مع العديد من الأعضاء الناشطين في جناحي لتنظيف حفرة العلف في مزرعة الوتد التابعة لبرنامج الإنعاش. لم يكن هذا بالمهمّة الممتعة! خلال عملنا دعونا أخاً أقلّ نشاطاً كان قد غاب عن الكنيسة لعدّة سنوات للانضمام إلينا. وبفضل المحبّة والمؤاخاة التي شعر بهما معنا فيما كنّا نعمل ونتحدّث في هذه الحفرة النتنة، عاد إلى الكنيسة ثمّ خُتم لاحقاً في الهيكل مع زوجته وأولاده. لقد باركت مؤاخاتنا عبر الخدمة أولاده وأحفاده، وأولاد أحفاده الآن. فالعديد منهم أدّوا مهمّات تبشيرية وتزوّجوا في الهيكل وهم يربّون عائلات أبديّة، وهذا عمل عظيم حصل بواسطة فعل بسيط: رقاقة صغيرة من الذهب.

المجال الثالث الذي يمكننا الخدمة فيه هو مجتمعاتنا. يمكننا مدّ اليد إلى أولئك الذين يحتاجون إلى مساعدتنا كتعبير خالص عن حبّنا واهتمامنا. والعديد منكم قد لبسوا قمصان "أيادي العون" وعملوا بلا كلل من أجل التخفيف من معاناة الناس وتحسين وضع مجتمعاتهم. لقد أمّن الشباب الراشدون العزّاب في وتد سنداي في اليابان خدمةً لا تقدَّر بثمن بحثاً عن الأعضاء الذين اختفوا بعد الزلزال الكبير والموجة العاتية اللذين هزّا البلاد. إنّ طرق خدمة الآخرين لا تُعدّ ولا تُحصى.

من خلال طيبتنا النابعة من القلب وخدمتنا يمكننا أن نصبح أصدقاء أولئك الذين نخدمهم. ويتأتّى عن هذه الصداقات فهماً أفضل لتفانينا للإنجيل ورغبة تعلّم المزيد عن الكنيسة.

لقد تحدّث صديقي العزيز الشيخ جوزف ورذلن عن قوّة هذا المبدأ عندما قال:

"يشكّل اللطف جوهر العظمة.[. إنّه] بمثابة جواز سفر يفتح الأبواب ويخلق الأصدقاء. إنّه يُلين القلوب ويصقل العلاقات التي يمكن أن تستمرّ مدى العمر" ("فضيلة اللطف،" المؤتمر العام المائة وخمسة وسبعون، نيسان/أبريل ٢٠٠٥).

يمكننا أيضاً خدمة أبناء الآب السماوي عبر تأدية المهمّات التبشيرية ليس فقط كمتفرّغين للتبشير بل أيضاً كأصدقاء وجيران. فالنمو المستقبلي للكنيسة لن يحصل فقط عبر قرع أبواب الغرباء. بل سيحصل عندما يلاحظ الأعضاء، مع المبشّرين، حاجات الغير ويستجيبون لها متحلّين بروح الخدمة الخيرية، وممتلئين بحبّ الله والمسيح.

عندما نقوم بذلك، أيّها الإخوة والأخوات، سيشعر أصحاب القلب الأمين بصدقنا وحبّنا. وسيرغب الكثيرون بمعرفة المزيد عنّا. عندئذٍ فقط ستتوسّع الكنيسة وتملأ الأرض كلّها. ولا يمكن تحقيق ذلك على يد المبشّرين فقط بل يتطلّب الأمر اهتماماً وخدمة من قِبل كلّ عضو.

علينا أن نكون حسّاسين تجاه همسات الروح القدس في خدمتنا كلّها. فهذا الصوت الخافت الهادئ سيُعلمنا من يحتاج إلى مساعدتنا وماذا يمكننا أن نفعل لمساعدته.

قال الرئيس سبنسر كمبل: "من الضروري أن نخدم بعضنا البعض في الملكوت... غالباً ما تقتصر أعمال الخدمة التي نقوم بها على تشجيع بسيط أو تقديم [...] للمساعدة في المهام العاديّة، ولكن يا لها من نتائج مجيدة قد تنبع [...] من أفعال صغيرة ولكن مقصودة!" ("Small Acts of Service," *Ensign*, Dec 1974, 2)

وقد نصح الرئيس توماس مونسن: "حاجات الآخرين موجودة على الدوام، وكلٌّ منّا يستطيع القيام بأمرٍ ما لمساعدة شخص معيّن. . . . إن لم نهلك أنفسنا في خدمة الآخرين، فلن يكون لحياتنا هدف يُذكر" (رسالة الرئاسة الأولى، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٩، "ما الذي قمتُ به اليوم لأساعد شخصاً آخر؟").

إخوتي وأخواتي، اسمحوا لي أن أشدّد مجدداً على أنّ أهمّ صفة لأبينا السماوي وابنه المحبوب التي علينا أن نرغب فيها ونسعى وراء امتلاكها في أنفسنا هي هبة المحبّة، حبّ المسيح النقي. وتنبع قدرتنا على حبّ الآخرين وخدمتهم كما فعل المخلّص من هذه الهبة.

لقد علّمنا النبي مورمون الأهمية العظمى لهذه الهبة وأخبرنا كيف يمكننا تلقّيها:

"لذلك، يا إخوتي الأحبّاء، صلّوا إلى الربّ بكلّ قلوبكم لكي تمتلئوا بهذا الحبّ الذي منحه لجميع الأتباع المخلصين لابنه يسوع المسيح؛ لكي تصيروا أبناء الله؛ حتّى نكون مثله متى ظهر، لأنّنا سنراه كما هو؛ لكي نحصل على هذا الرجاء؛ لكي نُطهَّر كما هو طاهر" (موروني ٧: ٤٨).

تُحقِّق العظائم من خلال الأعمال الصغيرة البسيطة. ومثل رقائق الذهب الصغيرة التي تتراكم مع الوقت لتشكّل ثروةً كبيرة، إنّ أعمال الطيبة والخدمة الصغيرة البسيطة التي نقوم بها ستتراكم لتكوّن حياةً يملأها الحبّ تجاه الآب السماوي، والتفاني تجاه عمل الربّ يسوع المسيح، وإحساس بالسلام والبهجة في كلّ مرّة نمدّ فيها اليد بعضنا إلى بعض.

فيما نقترب من موسم الفصح، فلنظهر حبّنا وتقديرنا لتضحية المخلّص التكفيرية عبر أعمال خدمةٍ بسيطة ومتعاطفة تجاه إخوتنا وأخواتنا في المنزل والكنيسة ومجتمعاتنا. أنا أصلّي من أجل ذلك باسم يسوع المسيح، آمين.